تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في ضوء نظريات اللغوية النفسية

Humayro Toha[1], Rasyid Ridlo[2], Uril Bahruddin[2]
[1]Institut Keislaman Abdullah Faqih Gresik
[2,3]Universitas Islam Negeri Maulana Malik Ibrahim Malang
E-mail: humayrotoha28@gmail.com; ridhorosyid003@gmail.com
urilbahruddin@pba.uin-malang.ac.id

Abstract: A good education is based on appropriate educational theories, but many of those concerned with teaching the Arabic language did not employ these theories in their education process. This research aims to describe two things, (1) psychological theories related to teaching Arabic to non-native speakers, (2) a proposal to employ psycholinguistic theory in teaching Arabic. The research approach is qualitative, with the type of desk study, and the data is taken from books, magazines, and pamphlets related to the subject of the research, which were collected through observations and document studies. As for the analysis of the data, it was done by sorting, presenting and deducing from it. The results of the research are: The psychological theories related to teaching the Arabic language to non-native speakers are the behavioral theory, the structural theory, the cognitive theory, and the transformational generative theory. To the extent that helps achieve the objectives of teaching the Arabic language, and the conclusion of the research indicated that improving the process of teaching the Arabic language to non-native speakers is done by taking into account the appropriate theories.
Keywords: Language, Teaching, Arabic, Theories

مقدمة

إن الإنسان يولد أو يتربى –أثناء طفولته– في بيئة معينة، بين والديه وذويه، أو في أحضان القائمين على تربيته، ويتلقى لغة هذه البيئة فيكتسبها؛ أي يتقن قواعدها الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية.

ويعرف قوانينها الاجتماعية والذرائعية في فهم الكلام وإنتاجه بشكل عفوي. يطلق اللغويون على هذه اللغة: اللغة الأم *Mother Tongue* أو: اللغة الأولى *First Language* للطفل، سواء أكانت لغة والديه وقومه الذين ينتسب إليهم عرقياً أو دينياً أو ثقافياً، أم لم تكن كذلك.

على الرغم من إجماع اللغويين على هذه الحقيقة في اكتساب اللغة، فإنهم يختلفون في تفسيرهم لعملية الاكتساب هذه، وتتعدد آراؤهم حولها، وكل رأي يستند إلى نظرية أو اتجاه نحو طبيعة اللغة واكتسابها، وكذلك إلى تعلمها وتعليمها. وأبرز النظريات اللغوية التي تعرضت لهذه القضية نظريتان: النظرية البنيوية *Structural Theory*، والنظرية التوليدية التحويلية – *Transformational Generative Theory*. أما أبرز النظريات النفسية التي عالجت قضايا تعلم اللغة وتعليمها فنظريتان أيضا هما النظرية السلوكية *Behavioral Theory*، النظرية المعرفية أو العقلانية *Cognitive/Rationalist Theory*.[1]

قد يبدو الحديث عن تعلم اللغة وتعليمها –في ظاهره– حديثاً عن قضايا لغوية تربوية فقط، لكنه في الواقع حديث في مجال الاكتساب اللغوي الذي هو أبرز مجالات علم اللغة النفسي. لهذا يجدر بنا– في هذه المقدمة القصيرة– أن تعرف بهذا العلم (علم اللغة النفسي) الذي ازدادت أهميته في السنوات الأخيرة.

[1] Ghazid, et.al, *Nadhariyat Al-Ta'alum Dirasah Muqaranah; Tarjamah Ali Hosein Hijaj wa Athiya Mahmoud* (Kuwait: Alam al-Ma'rifah, 1983).

علم اللغة النفسية *Psycholinguistics*، أو ما يطلق عليه البعض تجوزاً: علم النفس اللغوي *Psychology of Language*، فرع من فروع علم اللغة *Linguistics* لكنه يقع في الجانب التطبيقي منه، أي في مجال علم اللغة التطبيقي *Applied Linguistics* وهو ثمرة الالتقاء بين علم اللغة وعلم النفس الذي بدأ في الولايات المتحدة الأمريكية في أوائل الخمسينات الميلادية من هذا القرن عندما قام تعاون وثيق وتقارب بين علماء اللغة وعلماء النفس. بدأ الالتقاء بين هذه العلمين عندما اتفقت آراء اللغويين البنيويين أمثال ليونارد بلومفيلد *Leonard Bloomfield* (1887-1949م) وغيره، مع آراء النفسيين السلوكيين من علماء النفس أمثال ب. ف، سكينر *B.F. Skinner* (1904-1992م)، في النظرة إلى اللغة وتعلمها وتعليمها.[2]

فينبغي التنبيه إلى أن الحديث هنا عن النظريات اللغوية والنفسية والتربوية الأخذ بنتائجها، ولا التسليم بكل ماورد فيها. لكننا نرى أن الاطلاع عليها ضروري لكل مشتغل في ميدان تعليم اللغة العربية بحثاً وتأليفاً وتخطيطاً وتدريساً.

وتتأكد هذه الضرورة إذا أدركنا أن طرائق تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها قد بنيت على أساس من هذه النظريات الغربية، ثم نقلت إلى اللغة العربية مباشرة، أي دون عودة إلى التراث اللغوي العربي. كما

[2] Abdul Aziz Ibrahim al-Ushayli, *Al-Nadzariyat Al-Lughawiyah Al-Nafsiyah wa Ta'lim Al-Lughah* (1998).

ينبغي التنبيه إلى أن كثيراً من القضايا التي تعرضت لها الدراسات اللغوية الحديثة التي سوف نتحدث عنها في هذا البحث – قد وردت في كتب التراث، منظمة أحياناً، ومبعثرة أحياناً أخرى، تحت عناوين متباينة، ومصطلحات مختلفة عما هو متعارف عليه في الدرس اللغوي الحديث.

على الرغم من هذه الحقيقة فإنه ليس من أهداف هذا البحث تأصيل الدراسات اللغوية المعاصرة ولا مقارنتها بمناهج اللغويين القدامى، لأن هذا الأمر يحتاج إلى بحث مستقل. كما أنه ليس من أهداف هذا البحث تصنيف اللغويين المسلمين إلى سلوكيين أو بنيويين أو معرفيين أو توليدين تحوليين أو غير ذلك من الأوصاف التي يحلو لبعض الباحثين أن يطلقها على علمائنا انطلاقاً من تعريف أو رأي لهم حول مسألة معينة. ويستخدم هذا البحث منهج الوثائق المكتوبة ودراسة مكتبية.

النظريات اللغوية النفسية

1. النظرية السلوكية

السلوك هو الفعل الذي يقوم به الكائن الحي والذي يمكن ملاحظته وتقييمه كالحركة والمشي واحمرار الوجه وغيرها. فهي عبارة

عن مجموعة من العادات التي يكتسبها الإنسان أثناء مراحل نموه المختلفة. ويرجعون ذلك إلى العوامل البيئية التي يتعرض لها الفرد.[3]

فالنظرية السلوكية في علم النفس لها دور كبير في نشأة وتطور تعليم اللغة. هذه النظرية من إحدى نظريات التي ظهرت في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين. والاتجاه السلوكي في تعليم وتعلم اللغة أحد نتائج تطبيق النظرية السلوكية في علم النفس على السلوك اللغوي لدى الإنسان.[4]

ينظر علماء النفس السلوكيين إلى اللغة كشكل من أشكال السلوك ويفسرونها في إطار تكوين العادات، وتدخل المدعمات المختلفة بين المثيرات والاستجابات للمثيرات. إن اللغة بالنسبة للسلوكية ما هي إلا استجابة لمثيرات يقوم بإصدارها الكائن الحي، وتأخذ شكل السلوك الخاضع للملاحظة المباشرة. وفي هذا الإطار تستخدم الكلمات كمثيرات واستجابات لمثيرات أيضا، وتخضع للتشريط بالاستعانة بالتدعيم.[5]

رأى سكينر *Skinner* بأن تعلم اللغة هو المسألة المثيرية والاستجابية والتكرارية والثوابية أو ما يسمى بالتعزيز.[6] والتعزيز يؤكد

---

[3] Wizarah al-Ma'arif, *Dalil Al-Mursyid Al-Thullabi fi Madaris Al-Ta'lim Al-Aam* (Idarah Ammah li al-Irsyad,2001).

[4] al-Ushayli, *Al-Nadzariyat* …...

[5] Mishal Zakariya, *Qadhaya Al-Sunniyah Tathbiqiyah* (al-Muassasah al-jami'iyah li al-Dirasat, 1985).

[6] Acep Hermawan, *Metodologi Pengajaran Bahasa Arab* (Bandung: Remaja Rosdakarya, 2014).

الاستجابة فيتعلمها الكائن الحي بينما غياب التعزيز يؤدي إلى ضعف الاستجابة حتى تنطفئ حسب تعبير سكينر. وأكد ثورنديك *Thorndike* في نظريته عن التعزيز المتواصل. واستنبط من قانون التدريب والأثر لثورنديك بأن التعليم المتواصل والمترابط سيكون أيسر وأسرع للقبول. وحقق ثورنديك وسكينر على أن العقاب محدود الأثر لأنه يؤدي إلى إطفاء سلوك الكائن الحي وبينما الثواب يؤكد للكائن الحي أن ما فعله مرغوب فيه ويشجعه على تكرار ما فعل.[7]

ورأى جون واتسون *Jhon Watson* أن السلوك هنا التغيير في الحركة بسبب المثير عليه. وبالوضوح صرحت هذه النظرية أن المثير الداخلي يجر ظهور المثير الخارجي. وذلك قد احتسبت السلوكية في الاشتراط الفعالي بأن يصف الإنسان إيجابيا، فأتاحت السلطة التامة للمعلم داخل الفصل للسيطرة على ذلك الفصل، والمراقبة والاختراع على الاشتراط فيه. وهو الذي يختار شكل المثيرات، والتقوية، واختيار المواد مع طريقتها في التعليم بل تعيين الاستجابات لتلك المثيرات.

ويرى أيضا بأن الكلام هو سلوك، مثل أي سلوك آخر، ويشير إلى أن الكلام بصوت عال، مثله مثل الكلام الموجه إلى الذات أي للتفكير، فهو أيضا نمط موضوعي من أنماط السلوك

[7] Sholah Abdul Majid, *Ta'alum Al-Lughat Al-Hayyah wa Ta'limuha Baina Al-Nadhariyat wa Al-Tathbiq* (Kairo: Maktabah Luban. 1981).

الذي يميز المرحلة الأولى من مراحل الاكتساب عند الطفل، والذي يستمر طوال حياة الأفراد.[8]

وأما نظرية كلارك هل *Clark Hall* أن من لوازم عملية التعليم هو دور الحافز والثواب، والثواب يكون معززا ومحركا لعملية التعليم.[9] فالثواب في التعليم عند هل مثل الدوافع للمتعلمة وهي التي ترتبط بالمواقف والمحاكاة والترديد أو المثيرات الموجودة في البيئة عن طريقة تكوين العادة.[10] والحفظ مما جاءت تسميته الآن بالتعزيز عند هذه النظرية من النقط المهمة والعظيمة لمتعلمي اللغة في تحديد الصلة بين المثير والاستجابة وهذه نتيجة تجربة بافلوف *Pavlov* بخروج لعاب الكلب متى سمع صوت الجرس.[11] وتجربته بدس الفأر العتلة للحصول على الطعام.

فمن الممكن القول بأن التصور السلوكي يمكن اعتباره استجابة أو رد فعل *Reaction* مرتبط في ظهوره، بوجود مثير معين ينتمي في الغالب إلى المحيط *Environment*، يقوي احتمال ظهور الاستجابة بقوة الارتباط القائم بينها وبين المثير.

---

[8] Ahmad Fuad Effendi, *Metodologi Pembelajaran Bahasa Arab* (Malang: Misykat, 2005).
[9] Sholah Abdul Majid, *Ta'alum Al-Lughat* …..
[10] Jalal Syamsudin, *Ilmu Al-Lughah Al-Nafsi* (Iskandariyah: Muassasah al-Tsaqafah al-Jami'iyah).
[11] Syah Muhibbin, *Psikologi Pendidikan dengan Pendekatan Baru* (Bandung: Remaja Rosdakarya, 2006).

من هنا فالنظرية السلوكية تعتمد على مفهومين محوريين هما: المثير والاستجابة؛ فالأول يشير إلى كل تغيرات الوسط، كانبعاث صوت، أو ضوء أو ظهور طعام وغيرها. أما الوسط فيشير أساسا إلى خصائص العالم الذي يحيط بالعضوية بشكل مباشر أو غير مباشر. أما الثاني (الاستجابة) فيشير إلى نشاط العضوية الذي يظهر نتيجة لتغيير ما في المحيط الخارجي أو الداخلي.[12]

وبناء على الثلاثي الذي وضعه السلوكيون لهذه النظرية، والمتمثل في المثير والاستجابة والتعزيز، يفسرون من خلاله العمليات التعليمية, فكل ما يقوم به المعلم أمام التلميذ ويوجهه إليه، يعد مثيرا، فالسؤال الذي يطرحه المعلم، والصورة التي يظهرها على اللوح، تمثل المثيرات لأنها تدفع التلميذ للمتكلم، لذلك فإجابة التلميذ من السؤال، وتعليقه من الصورة، تعد استجابات، وتعليق المعلم على تلك الإجابات تعد تعزيزا إيجابيا أو سلبيا، فإذا كانت الإجابات صحيحة يعمد المعلم إلى تدعيمها والتعقيب عليها بالقبول والشكر والتأييد، وإذا كانت خاطئة يعمل المعلم على توقيفها، وذلك هو التعزيز السلبي.

ومن هنا نصل إلى أن السلوكيين يعدون بأن اللّغة تكتسب في إطار النظرية السلوكية بالطريقة نفسها التي تكتسب بها بقية الاستجابات الأخرى غير اللغوية، وذلك بالمثيرات والمحاكاة

[12] Abdul Karim Gharib, *Sikulujiya al-Tarbiyah; Silsilah Ulum Al-Tarbiyah* (1992).

والاشراط والتعزيز. وبصورة عامة فليس هناك في نظرهم فرق بين تعلم اللغة وبين أي شكل آخر من أشكال التعلم.[13]

2. النظرية البنيوية

تعرف البنيوية بالنظرية أو المنهجية، وذلك لأنها ليست سوى منهج من المناهج الحديثة التي برزت إثر الثورة المنهجية الحديثة، ولأنها تؤمن باللغة، وتثق فيها، وفي إمكانية التحليل الموضوعي.

فالبنيوية قد أعادت الاعتبار للغة، حيث لم تعد اللغة وسيلة لنقل الأفكار والمفاهيم القبلية، وإنما هي الأساس الفاعل والمنتج لهذه المفاهيم التي تنقل بواسطتها، وفي الواقع فإن اللغة كانت ولا تزال تلعب الدور الحاسم والمنوط بها في عمليات الوصف، والنظر في منظومة الأفكار المتداخلة. وقد بسطت البنيوية جناحيها خلال العقدين الماضيين من القرن العشرين على كثير من العلوم الإنسانية التقليدية، ومجالات النشاط الإنساني.[14]

تمتد الجذور التاريخية لنشأة النظرية البنيوية إلى عهد سقراط، ولكنها تبلورت في صيغتها في ضوء نظريات وأفكار كثير من المنظرين، مثل: أوزوبل، وبياجيه ودي سوسير، وميشيل فوكو، وغيرهم .ولكن يرجع الفضل في نشأة الدراسات البنيوية في العصر

---

[13] Mushtafa Zidan, *Nadzariyat al-Ta'alum wa Tathbiqatuha Al-Tarbawiyah* (Aljazair: Diwan al-Wathani li al-Mathbuat al-Jami'iyah, 1983).

[14] Zayed Moqabilah, Asasiyat fi Al-Lughah Al-Arabiyah (Maktabah al-Fajr, 1998).

الحديث إلى العالم السويسري، فرديناند دي سوسير. إذ أن آراءه في التفرقة بين اللغة والكلام، والدال والمدلول، وفي أولوية النسق أو النظام على باقي عناصر الأسلوب، وفي التفرقة بين التزامن والتعاقب، وكذلك استخدامه مصطلح بنية في العصر الحديث بالمؤتمر الذي عقده الشكلانيون الروس لعلوم في مدينة لاهاي سنة: 1928م، هي التي أسست لنشأة الدراسات البنيوية.[15]

وهناك القضايا المهمة التي وضعها ديسوسير:[16]

أ. فرق ديسوسير المصطلحات المهمة في اللغة وهي: الكلام الفردي، واللغة بمعناها العام، واللغة المعينة.

ب. أن اللغة نظام يتألف من مجموعة من علامات اللغة

ج. أن النظام اللغوي يتألف من عناصر داخلية وعلاقات خارجية

د. أن اللغة ينبغي أن تدرس في مرحلة الخاصة، في بيئة زمانية ومكانية محددة.

هـ. ضرورة استخدام وسائل المنهج العلمي في التحليل اللغوي ووصف اللغة.

وهذه هي القضايا العامة التي قامت عليها هذه النظرية. ويشترك في هذه النظرية بعض علماء علم اللغة. وقام اللغوي

[15] Yomna al-Aid, *Ma'rifatu Al-Nash* (Beirut: Dar al-Afaq al-Jadidah, 1985).
[16] al-Ushayli, *Al-Nadzariyat* …...

الأمريكي وهو ليونارد بلومفيلد في تطبيق هذه النظرية بالتفصيل، وله دور كبير في نشأة وتطور هذه النظرية في تعلم اللغة. اهتم بلومفيلد في كتابه "اللغة *Language*" بالفونيم وأنماطه، والتركيب الصوتي، والأشكال النحوية، وأنواع التغير اللغوي. وركز في التحليل اللغوي على دراسة سلوك العناصر داخل البنية اللغوية من خلال المواضع والمواقع التي تحتلها في الكلام، وهذا ما عرف بالتوزيعية.

والتوزيعية هي منهج في التحليل اللغوي يهتم أصحابها بدراسة الشكل الظاهر للعناصر اللغوية كالفونيمات، والمرفمات، والمقاطع، والكلمات. منهج التوزيعية يهتم برصد العناصر داخل البنية اللغوية من خلال المواقع التي تحتلها في الكلام، وهذه المواقع محدودة لكنها ذات قدرات توزيعية غير محدودة. وهذا ما يعبر أحيانا بالاستبدال *Subtitusi*.[17] انظر إلى نموذج التالي:

ذهب	زيد	إلى	السوق
	أحمد		المدرسة
	الأب		المسجد
	الطالب		المكتبة

[17] al-Ushayli, *Al-Nadzariyat* …...

نظرا إلى النموذج السابق أن كلمة "زيد" في الجملة "ذهب زيد إلى السوق" تمكن استبدالها بالكلمة "أحمد أو الأب أو الطالب". وكذلك كلمة "السوق" تمكن استبدالها بالكلمة "المدرسة أو المسجد أو المكتبة". وهذا يسمى بالاستبدال يعني إمكانية استبدال عنصر لغوي بآخر للتأكد من انتمائهما لقسم واحد من أقسام الكلام كالفونيم، والمرفيم، والاسم، والفعل، والحرف، والصفة.

والنموذج السابق اسضتبدال الاسم. فتدريبات الأنماط طريقة من طرق تعليم التركيب النحوية وهذه الطريقة تعتمد على تكرار العبارات والجمل المراد تعلمها مرات عديدة، مع استبدال بعض عناصر الجملة أو العبارة بعناصر أخرى. فهذه الجمل والعبارات ليست مقصودة لذاتها، لكنها وسيلة للتدريب على نمط قلب الجمل أو العبارات المعينة في المثال.

وفي تعليم اللغة العربية، لابد من معرفة أسس النظرية البنيوية، ومن أسسها المهمة هي:[18]

أ. إن تعلم اللغة هو اكتساب عادة تقوى بالتدريب والتعزيز

ب. إن الحديث المنطوق هو أصل اللغات جميعا

ج. إن لكل لغة نظام فريد في بابه تختلف به عن غيرها من اللغات

د. إن اللغة الحية كلها تتغير وتطور بمرور الزمان

[18] Sholah Abdul Majid, *Ta'alum Al-Lughat* …..

هـ. إن المرجع الأول والأخير في سلامة اللغة وصحتها هم المتحدثون بها

و. إن تبادل الأفكار والمعاني والاتصال بين الناس هو الهدف الرئيسي في استخدام اللغات والسبب في وجودها.

لتوضيح الأسس السابقة، قال اللغوي الأمريكي وليم مولتون في تقريره الذي أعده للمؤتمر العالمي التاسع في عام 1961 للغويين، أن المبادئ اللغوية التي ينبغي أن تبنى عليها منهجية تعليم اللغة هي:[19]

أ. اللغة هي الكلام المنطوق لا الكلام المكتوب

ب. اللغة مجموعة العادات

ج. على المعلم أن يعلم اللغة ذاتها لا أن يعلم المعلومات عن اللغة

د. اللغة هي التي يستخدمها أصحابها لا الأنماط اللغوية المعيارية التي يفرضها عليهم آخرون

هـ. اللغة تختلف فيما بينها.

3. النظرية المعرفية

[19] Jack Richard, *Madzahib wa Tharaiq fi Ta'lim Al-Lughat*.

لم يكن الاهتمام بالنواحي المعرفية العقلانية، في مجال التعلم والتعليم بوجه عام، وفي مجال اكتساب اللغات وتعلمها وتعليمها بوجه خاص؛ وليد هذا العصر، بل كان المنهج السائد قبل ظهور النظريات النفسية واللغوية المعاصرة. وقد رأينا كيف كان الوصفيون ينظرون إلى الدراسات اللغوية التقليدية وينقدونها بسبب صدورها عن تصورات عقلانية فلسفية، لكن النصف الأول من القرن الميلادي الحالي شهد ظهور عدد من النظريات المعرفية التي تختلف عن النظريات المعرفية التي كانت سائدة قبل ظهور النظريات السلوكية، كنظرية التدريب الشكلي أو الملكات العقلية من هذه النظريات المعرفية الحديثة: النظرية الكلية، (نظرية الجشتالت *Gestalt Theory*).[20]

ترى هذه النظرية أن إدراك المتعلم يتجه إلى الكل، وأن هذا الكل ليس مجرد مجموع الأجزاء بل هو نظام مترابط متسق مكون من أجزاء متفاعلة، هذا الكل سابق لأجزائه من الناحية المنطقية. والتعلم الحقيقي الذي لا ينطفئ في إطار هذه النظرية يعتمد على إدراك العلاقات بين الأشياء وفهمها، وإعادة تنظيمها، والاستفادة من الخبرات السابقة في تفسير المعلومات في مواقف التعلم الجديدة.

من الذي اهتم بالنظريات المعرفية هو عالم علم النفس السويسري جان بياجيه *Jean Piaget* (1896–1980م). اهتم

[20] Ghazid, et.al, *Nadhariyat Al-Ta'alum* …..

بياجيه في نظريته بمراحل النمو عند الأطفال الذي يتبعه النمو المعرفي، ونبه إلى أن اختلاف هذه المراحل يتطلب تنويعا في أساليب التعليم. كما أصر على أن التعلم الحقيقي هو التعلم الذي ينشأ عن التأمل والتروي من خلال تنظيم المتعلم للمعلومات المتناثرة في البيئة أو في غيرها والاستفادة من ذلك في فهم وتفسير ما يلاحظه. أي إن بياجيه يعترف بضرورة التوازن؛ فيهتم بالعوامل الداخلية للمتعلم ولا يهمل دور العوامل الخارجية).

إن مبادئ هذه النظرية الأساسية هي:

أ. إن التعلم مهارة معرفية معقدة تتضمن استعمال أساليب متنوعة للتعامل مع المعلومات للتغلب على محدودية القدرة اللغوية.

ب. إن تعلم لغة ثانية يعني تعلم المهارة اللازمة لذلك، وهذا يتطلب ممارسة جميع جوانب هذه المهارة حتى تصبح متكاملة كأداء لغوي طلق وسليم إلى أن يصبح الأداء آلياً *Automatized*. إن التعلم عملية معرفية عقلية لأنه يتضمن تمثلاً داخلياً للمعلومات التي توجه الأداء اللغوي وتنظمه. وفي حالة اكتساب اللغة فإن هذا التمثل يعتمد على نظام لغوي يشمل إجراءات لاختيار المفردات والتراكيب والمعاني المناسبة التي تحكم الاستعمال اللغوي.

ج. هناك إعادة ترتيب وتقويم مستمران للتمثلات الداخلية تتناسب مع تزايد قدرة المتعلم اللغوية؛ حيث تُرتب التمثلات اللغوية حسب سهولتها أو صعوبتها.[21]

فيما يتعلق باكتساب اللغة، يرى بياجيه أن الوظائف المعرفية تسبق النمو اللغوي، وأن اللغة بحد ذاتها لا تولد العمليات الفكرية، بل إن اللغة في نظره لا يمكن استعمالها الاستعمال الكامل ما لم تتكون العمليات الفكرية؛ لأن العملياتئ الفكرية هي التي تسمح باستغلال اللغة بكل قدراتها التمييزية. وبعبارة أخرى، فإن بياجيه يخضع الجانب اللغوي للجانب المعرفي. فيتضح مما سبق أن علم النفس دار دورة كاملة وعاد مرة أخرى إلى الاهتمام بالنواحي المعرفية العقلانية بعد أن انصرف عنها فترة من الزمن إلى النواحي الحسية السلوكية.[22]

هذه النظرية إلى دور العقل والتفكير في اكتساب اللغة وتعلمها هي أهم فارق بين المعرفيين والسلوكيين، وهي بداية الافتراق بين المدرستين؛ حيث يعتقد المعرفيون أن الخطأ الذي وقع فيه السلوكيون هو الافتراض بل الجزم بأن الإنسان يتعلم الأمور في الحياة العامة بنفس الطريقة التي يتعلم بها الحيوان؛ كالفئران والكلاب

[21] Mishal Zakariya, *Qadhaya Al-Sunniyah* …..
[22] Sholah Abdul Majid, *Ta'alum Al-Lughat* …..

والخنازير، وأنواع من الطيور والأسماك، ثم تطبيق هذا المبدأ على تعليم الطلاب بوجه عام، وأخيراً على تعليم اللغات.

4. النظرية التوليدية التحويلية

تعتبر النظرية التحويلية التوليدية *Transformatioal Generative Theory*، التي وضع أسسها نوم تشومسكي واقترنت باسمه؛ أبرز نظرية هي: لغوية معاصرة، تمثل النمط العقلاني المعرفي، وتعالج قضايا اللغة واكتسابها وعلاقتها بالعقل والمعرفة الإنسانية.

لقد أقام تشومسكي نظريته هذه على أساس أن اللغة مكون من مكونات الإنسان، ونتاج عقلي خاص به؛ يتميز بها عن غيره من المخلوقات كما يتميز بالذكاء والقدرة على التفكير. لهذا رفض النظرة الظاهرية الشكلية للغة، كماء عند البنيويين الوصفيين، واعتبرها ناقصة لا تعالج إلا جزءاً بسيطاً من هذه الظاهرة المعقدة.

لقد ذهب تشومسكي إلى أبعد من هذا حين ادعى أن أنصار المدرسة البنيوية الشكلية لم يقدموا نظرية لغوية بالمعنى الصحيح؛ لأن أي نظرية – في اعتقاده– لا يمكن أن تبنى على الكلام الفعلي مهما بلغ حجم العينة من الكلام الذي تجرى عليه

الدراسة. وهو بهذا يحاول هدم أهم اساس قامت عليه النظرية البنيوية الشكلية، وهو الجانب الشفهي المنطوق من اللغة.[23]

في أول المرحلة اقترح تشومسكي ثلاث طرائق للتّحليل النحوي، وهذه الطرائق هي: "قواعد بنية العبارة" وتشمل قواعد الحالات المحدودة التي تبيّن عدم قدرتها على التفسير، ولا سيّما في التراكيب غير البسيطة، وهي القوانين الشّكلية التي تضبط الجملة وتحكمها، وذلك على النحو الآتي:

الجملة: مركب اسمي + مركب فعلي، مثال: أكل الطفل التفاحة. **المركب الاسمي** أداة + اسم، مثال: ال + تفاحة. **المركب الفعلي** فعل + مركب اسمي، مثال: أكل + الطفل. اسم= طفل، وتفاحة، الأداة= أل، فعل =أكل

اهتم تشومسكي في هذه النظرية بالقواعد التي عرفها بأنها نظام قائم بشكل ضمني في عقل الناطق باللغة، يكتسبه غالباً في مرحلة الطفولة. وبناء على هذا المفهوم للقواعد فإن أي ناطق بلغة معينة يستطيع أن يفهم أي جملة أو عبارة بهذه اللغة حتى ولو لم يسبق له أن سمعها أو تدرب عليها.

أطلق تشومسكي على هذه المعرفة الضمنية بقواعد اللغة: الكفاية اللغوية *Competence*، التي تختلف عما سماه: الأداء اللغوي *Performance*. هذه القواعد التي اهتم بها تشومسكي تشمل عنده

[23] Mishal Zakariya, *Qadhaya Al-Sunniyah* …..

النحو والصرف والأصوات والمعاني، لكنه ركز من الناحية العملية على القواعد النحوية الصرفية بشكل خاص؛ لأنها في نظره الأصل والأساس الذي تقوم عليه القواعد الصوتية ويعتمد عليه المعنى.

يرى تشومسكي أن هدف أي نظرية لغوية يجب أن يكون التوصل إلى معرفة هذه القواعد في عقل الناطق باللغة، أي جميع القواعد اللغوية التي تكون الأساس والتي تمكن أصحاب لغة معينة من توليد أو ابتكار جميع الجمل الصحيحة في تلك اللغة، وتمنعهم من توليد أي جملة غير صحيحة.

للوصول إلى هذه المعرفة اعتبر تشومسكي أن الجملة هي الأساس في بناء اللغة والتحليل اللغوي، واستعان في تحليلاته بمصطلحات ورموز وأدوات من بعض العلوم الأخرى كالرياضيات والمنطق؛ بهدف الوصول إلى القواعد الصحيحة من غير حاجة إلى استعمال مصطلحات القواعد المتعارف عليها تقليديا، والتي كثيراً ما تقود– في نظره– إلى اللبس والخطأ.[24]

لقد تناول تشومسكي في نظريته هذه عدداً من القضايا اللغوية النفسية التي اعتبرها ضرورية وأساسية لفهم طبيعة اللغة، وأساليب تحليلها، وعملية اكتسابها، ومظاهر أدائها.

[24] Khorma Nayef, *Adhwa' Ala Al-Dirasat Al-Lughawiyah Al-Mu'ashirah* (Kuwait: Alam al-Ma'rifah, 1977).

يعتقد تشومسكي أن الإنسان يولد مزوداً بمعرفة لغوية عمومية خاصة به سماها القواعد العمومية. والدليل على وجود هذه القواعد مستمد من مصدرين.[25]

أ. المصدر النظري *Theory-driven* وفيه يجادل تشومسكي بضرورة وجود معرفة لغوية كامنة سابقة تفسر سرعة اكتساب اللغة ومنطقية ذلك الاكتساب ضمن أطر ومراحل مضطردة. ويضيف تشومسكي بأن المؤثرات اللغوية الخارجية التي يتعرض لها الإنسان لا تكفي، وغير ملائمة، وحدها لتفسير اكتساب اللغة وتوليدها وفق قواعد اللغة السليمة.

وقد تم استخلاص القواعد العمومية بعد دراسة الخصائص اللغوية الخاصة بلغة معينة ولغات أخرى. فهي مبادئ مجردة تقيد استعمال اللغة وتتألف من قواعد خاصة بلغة معينة وقواعد عامة تشترك فيها كل اللغات الإنسانية، ومن الجدير ذكره أنها قواعد بسيطة محددة لكنها تفسر ظواهر لغوية معقدة.

ب. المصدر التجريبي *Data-driven* ويهتم هذا المنحى بدراسة البنى السطحية للغات شتى لتحديد تباين اللغات

[25] Aqlah Mahmoud al-Shamadi & Fawaz Mohamad Abdo al-Haq, *Nadhariyat Ta'alum Al-Lughah wa Iktisabiha Tadzaminat li Ta'alum Al-Arabiyah wa Ta'limuha* (Yordania: Jami'ah Yarmouk, 1998).

واختلافها واستخلاص قواعد خاصة وعامة تفسر هذا التباين.

ويلحظ تكامل المصدرين السابقين، حيث إن المصدر التجريبي يدّعم المصدر النظري بنتائج عملية واقعية كما أن الإطار النظري يساعد في تفسير هذه النتائج وفهمها.

خاتمة

بعد هذا المبحث الموجز لبعض النظريات اللغوية النفسية وتعليم اللغة الثانية، نركز على أهمية مراعاة حاجيات الفئة المستهدفة في إنتاج مقررات تدريس اللغة العربية بمستوياتها للناطقين بغيرها. وذلك من خلال الابداع في الوضعيات التعليمية وعدم الاكتفاء بالمقررات النمطية التي من الصعب أن تلبي حاجات كل المتعلمين. ولن يتاح ذلك إلا من خلال التحديد الدقيق لخصائص المتعلمين، وصياغة رؤية خاصة للتعلم، وتوضيح دور كل من المتعلم والمعلم من خلال ميثاق تربوي. ونلخص عن تلك النظريات تلخيصا قصيرا:

1. النظرية السلوكية: رأى سكينر بأن تعلم اللغة هو المسألة المثيرية والاستجابية والتكرارية والثوابية أو ما يسمى بالتعزيز. والتعزيز يؤكد الاستجابة فيتعلمها الكائن الحي بينما غياب التعزيز يؤدي إلى ضعف الاستجابة حتى تنطفئ.

2. النظرية النيوية: يرجع الفضل في نشأة الدراسات البنيوية في العصر الحديث إلى العالم السويسري، فرديناند دي سوسير. إذ أن آراءه في التفرقة بين اللغة والكلام، والدال والمدلول، وفي أولوية النسق أو النظام على باقي عناصر الأسلوب، وفي التفرقة بين التزامن والتعاقب.
3. النظرية المعرفية: من الذي اهتم بالنظريات المعرفية هو عالم علم النفس السويسري جان بياجيه (1896-1980م). اهتم بياجيه في نظريته بمراحل النمو عند الأطفال الذي يتبعه النمو المعرفي، ونبه إلى أن اختلاف هذه المراحل يتطلب تنويعا في أساليب التعليم. كما أصر على أن التعلم الحقيقي هو التعلم الذي ينشأ عن التأمل والتروي من خلال تنظيم المتعلم للمعلومات المتناثرة في البيئة أو في غيرها والاستفادة من ذلك في فهم وتفسير ما يلاحظه. أي إن بياجيه يعترف بضرورة التوازن؛ فيهتم بالعوامل الداخلية للمتعلم ولا يهمل دور العوامل الخارجية).
4. النظرية التوليدية التحويلية: وضع أسسها نوم تشومسكي واقترنت باسمه؛ أبرز نظرية هي: لغوية معاصرة، تمثل النمط العقلاني المعرفي، وتعالج قضايا اللغة واكتسابها وعلاقتها بالعقل والمعرفة الإنسانية. لقد أقام تشومسكي نظريته هذه على أساس أن اللغة مكون من مكونات الإنسان، ونتاج عقلي خاص به؛ يتميز بها عن غيره من المخلوقات كما يتميز بالذكاء والقدرة على التفكير.

لهذا رفض النظرة الظاهرية الشكلية للغة، كماء عند البنيويين الوصفيين، واعتبرها ناقصة لا تعالج إلا جزءاً بسيطاً من هذه الظاهرة المعقدة.

إن البحث عن طرائق وأساليب ونظريات لتعليم العربية لا يعني، بحال من الأحوال، إهمال طرائق تدريس اللغات المعاصرة، بل يعني إعادة النظر في اختيار الطرائق، وتحديد الأنشطة التعليمية، والاستفادة من ذلك بالقدر الذي يحقق أهداف تعليم اللغة العربية، وقد يتطلب الأمر الجمع بين مختلف الطرائق للخروج بطريقة تناسب تعليم العربية لأهداف معينة، أو ابتكار طريقة أو طرائق خاصة بتعليم العربية على أسس علمية.

قائمة المراجع

al-Aid, Yomna. (1985) *Ma'rifatu Al-Nash*. Beirut: Dar al-Afaq al-Jadidah.

al-Shamadi, Aqlah Mahmoud & al-Haq, Fawaz Mohamad Abdo. (1998). *Nadhariyat Ta'alum Al-Lughah wa Iktisabiha Tadzaminat li Ta'alum Al-Arabiyah wa Ta'limuha*. Yordania: Jami'ah Yarmouk.

al-Ushayli, Abdul Aziz Ibrahim. (1998). *Al-Nadzariyat Al-Lughawiyah Al-Nafsiyah wa Ta'lim Al-Lughah*.

Effendy, Ahmad Fuad. (2005) *Metodologi Pembelajaran Bahasa Arab*. Malang: Misykat.

Ghazid, et.al, (1983). *Nadhariyat Al-Ta'alum Dirasah Muqaranah; Tarjamah Ali Hosein Hijaj wa Athiya Mahmoud*. Kuwait: Alam al-Ma'rifah.

Gharib, Abdul Karim. (1992) *Sikulujiya al-Tarbiyah; Silsilah Ulum Al-Tarbiyah*.

Hermawan, Acep. (2014) *Metodologi Pengajaran Bahasa Arab*. Bandung: PT Remaja Rosdakarya.

Majid, Sholah Abdul. (1981). *Ta'alum Al-Lughat Al-Hayyah wa Ta'limuha Baina Al-Nadhariyat wa Al-Tathbiq*. Kairo: Maktabah Luban.

Moqabilah, Zayed. (1998). Asasiyat fi Al-Lughah Al-Arabiyah. Maktabah al-Fajr.

Muhibbin, Syah. (2006) *Psikologi Pendidikan dengan pendekatan baru*. Bandung: PT Rosda Karya.

Nayef, Khorma. (1977) *Adhwa' Ala Al-Dirasat Al-Lughawiyah Al-Mu'ashirah*. Kuwait: Alam al-Ma'rifah.

Syamsudin, Jalal. *Ilmu Al-Lughah Al-Nafsi*. Iskandariyah: Muassasah al-Tsaqafah al-Jami'iyah.

Wizarah al-Ma'arif. (2001.) *Dalil Al-Mursyid Al-Thullabi fi Madaris Al-Ta'lim Al-Aam*. Idarah Ammah li al-Irsyad.

Zakariya, Mishal. (1985). *Qadhaya Al-Sunniyah Tathbiqiyah*. al-Muassasah al-jami'iyah li al-Dirasat.

Zidan, Mushtafa. (1983). *Nadzariyat al-Ta'alum wa Tathbiqatuha Al-Tarbawiyah*. Aljazair: Diwan al-Wathani li al-Mathbuat al-Jami'iyah.